الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها

الموسومة بـ

تقنيات السرد في الرواية الجزائرية
رواية (قرة العين) لجيلالي خلاص نموذجا

إعداد الطالبة:
– عدة رزيق أم الخير

إشراف الأستاذ:
– حنيفي بن ناصر

السنة الجامعية: 2017 – 2018

المقدمـــــة

الحمد لله كثيرا بالغا حد الرضا والصلاة والسلام على خير خلقه النبيّ المصطفى وعلى آله وصحبه أهل الصدق والوفا.

وبعد .....

فقد خطيت القصة بمكانه متميزة بوصفها فنا جديدا ينغوي إلى جانبها حتى لواء أجناس الأدب في العصر الحديث، ذلك العصر الذي شاهد تغيرات وعوامل متنوعة كانت لها بصمتها الكبيرة على واقع الإنسان مع قضاياه المعاصرة ولا سيما تلك التي حظت طبيعة اتجاهه الفكري وانتمائه لبيئته الاجتماعية بعد الانفتاح الهائل والإطلاع المتبادل على خصائص وسمات كل من الثقافتين العربية والغربية.

ومن أبرز مسلمات هذا الفن أنه لم يقتصر على نوع معيّن يقيد به الكاتب بل إنّ قوالبه تعددت بين الأقصوصة(القصة القصيرة) و (الرواية) التي هي موضوع مذكرتي وما تتضمنه من تقنيات السرد فيها.

إنّ الرواية تعتبر فن سرد الأحداث والقصص تضم الكثير من الشخصيات، تختلف انفعالاتها وصفاتها وهي أحسن وأجمل فنون الأدب النثري وتعتبر الأكثر حداثة في الشكل والمضمون، كما تحتوي على قواعد فنية تعرّف عليها العرب في البداية للقرن الماضي وتمت ترجمة الروايات الشرقية والغربية، وكذلك تعتبر قصة خيالية ونثرية مطولة وأكثر فن انتشارا وشهرة من الفنون الأدب النثري، كما تميّزت بالتشويق في الأمور والمواضيع والقضايا المختلفة شواء أكانت أخلاقية أو اجتماعية أو حتى فلسفية، كما لها تأثير في المجتمع حيث تتحدث عن المواقف والتجارب البشرية في زمان ومكان معيّن وتمنحنا عبرة ودرس نستفبد منه في المواضيع العاطفية والسياسية والاجتماعية والنفسية فاخترت موضوع تقنيات السرد في رواية " قرّة العين" للكاتب جيلالي خلاّص إلى أن الكاتب اعتمد مكونات التقنيات السردية وسيلة لإبراز جمالية الرواية

التي تميّز بعضها بالشخصية الروائية وبعضها الآخر بمكان الرواية المواتية لطبيعة الأحداث وكثرة التقنيات الزمنية.

فقد قامت خطة البحث على فصلين اثنين سبقهما تمهيد، تناولنا فيه ثلاثة محاور

تمثل الأول في مفهوم تبيان الدلالتين اللغوية والاصطلاحية لكلمة (السرد) أما الثاني نبذة تاريخية عن نظرية السرد، أما المحور الثالث فقد دار حول سيرة الكاتب الذاتية ونشاطه في مجالات الروائية

تم تخصيص فصلين لهذه الدراسة، الفصل الأول كان الجانب النظري الذي قمنا فيه بالتحدث عن السرد وتقنياته في الرواية بصفة عامة أما الفصل الثاني التطبيقي الذي طبقنا فيه الجانب النظري لرواية " قرة العين"

اعتمدت على مصدر ألا وهو الرواية " قرة العين" لجيلالي خلاص ومرجع أساسي هو تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني للدكتورة نفلة حسن أحمد العزّي.

أودّ أن أشير إلى صعوبة واجهتني في رحلتي الدراسية تكمن في عدم لقائي الشخصي بالراوي " جيلالي خلاص" من أجل التعمق في لب الرواية وتقنياتها السردية.

ومسك الختام هو أملي أن تفيد هذه الدراسة القراء بما يعنيهم على العبور إلى أفق معرفي ورؤية نقدية فاصحة لسردية النصوص.

والله ولي التوفيق .....

تمهيـــد:

1- السردية لغة واصطلاحا :

إن السردية هو مصطلح نقدي وضعه " تودوروف" عام 1969م للدلالة على علم السرد الذي أخد يشغل حيزا واسعا من اهتمام النقاد والدارسين [1] ومع أنه مصطلح حديث الاستخدام لكنه ليس وليدا جديدا بين ضروب الأدب الغربية، لأن أصوله القديمة تعود إلى زمن أفلاطون و أرسطو وهذا فضل الإسهام في إرساء موانئ تطوره كعلم له قواعد آليات محددة في بنية التركيب الإبداعي، ولا مناص من التعرف على دلالتيه اللغوية والاصطلاحية لأجل صورة واضحة ومتكاملة عن معناه.

فالأصل اللغوي بكلمة (السرد) " هو تقدمه شيء إلى شيء تأتي به منسقا بعضه في إثر بعض متسابقا ويقال سرد الحديث ونحو بسرده سردا إذا تابعه وفلان يسرد الحديث سردا إن كان جيد السياق له[2]

أما السرد في دلالة الاصطلاحية هو يعني المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء كان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال على أن يراعي القاص في كلا الشكلين مبدأ إثارة المتعة الفنية عند المتلقي، ويعود ذلك بالتأكيد على كيفية العرض التي على أساسها يتم تمييز هذا النسج البنائي على ذلك.

وبتعبير أكثر دقة ووضوحا، فإن السرد يشير إلى الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص وحتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحدث إلى الملتقي فكأن السرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي [3] مما يعني أنه بإمكانه القاص تنظيم مادته الحكائية وفق النمط الذي يرتابه في تنسيق الوقائع أو الأحداث وتوزيعها بين ثنيا النص

---

[1] د/ نفلة حسن أحمد العزي- تقنيات السرد وآليات تشكليه الفني- الطبعة الأولى دار غيداء للنشر والتوزيع عمان 1431 هـ/2011 م الصفحة 11

[2] نفس المرجع السابق صفحة 12.

[3] - [3]ينضر: د/ نفلة حسن أحمد العزي- مرجع سابق صفحة 13.

الإبداعي، وبذلك يؤدي السرد مهمته لتشكيل البناء الفني للحكاية فضلا عن اضافته الطابع الجمالي على مجمل زواياها [1]

وبما أن البناء الفني هو منظومة العلاقات التي يقيمها السرد بين القيس فإن ذلك ليس بمبدأ على الرأي القائل :" إذا كان لكل عمل في بنيته المتعددة المستويات من مستوى خاص به يحملها جميعا فإن المستوى السردي هو الذي يشتغل هذا الموقع في العمل الروائي، وعليه فمن الممكن أن بعد السرد الأداة المميزة للفن القصصي عن باقي الفنون الأدبية الأخرى.

2- نبذة تاريخية عن نظرية السرد :

استطاع المنهج النبوي أن يحرر النص الأدبي ويفك عنهالقيود التي تكبل بها في ظل المناهج التقليدية القديمة إذا كانت توظفه لأغراضها النفسية والاجتماعية والتاريخية في حين أخذت النبوية تبحث فقط في نظمه وقوانينه، وأنساقه القتية بمعزل عن أي حقل آخر خارج هذا النطاق.

وقد برز التحليل النبوي للنص الأدبي بصورته الواضحة مع بدأ الحركة الشكلانية التي ظهرت في روسيا في مطلع القرن العشرين وازدهرت أثناء عقدت الثلاثية، وقد ظمت هذه الحركة عدد من النقاد و الباحثين أمثال (جاكبسون)، (بروبا) وغيرهم ممن انصبت جهودهم في الكشف عن بنية العمل السردي ومدى تأثيرها بعنصر الزمن كما اهتموا بدراسة الأنساق البنائية التي من خلالها تشكل الحكاية وذلك انطلاقا من إقامة تماثل بين أنساق أنساق المبنى الحكائي والأسلوبية في الاستعمال اللغوي.

أما المبدأ فهو ما يتعلق بمفهوم الشكل إذا أنهم رفضوا ثنائية الشكل والمضمون تماما وذهبوا إلى " أنّ الخطاب الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله" وهم بذلك يخالفون

النظرية التقليدية القديمة التي كانت تؤكد على ضرورة التلازم بين شكل النص الإبداعي.[1]

ومن خلال ما تقدم نعين خليا أن جميع الجهود المبذولة قد تضافرت لتجتمع في مسار دراسي واحد غايته الأساسية هو معرفة النص الأدبي من جهة والارتقاء بتقية السرد الرواتي من جهة ثانية وعليه فإن هذا العرض الموجز لبعض التقنيات الردّ الروائي الجزائري وبالأخص رواية " قرة العين" للراوي جيلالي خلاص.

3- جيلالي خلاّص – سيرة وإبداع :

جيلالي من مواليد 1952م بعين الدفلى – الجزائر- عمل كمعلم وأستاذ التحق بالمؤسسة الوطنية للكتاب التي صار مدير النشر بها في سنة 1998م تنتقل إلى الفنون بوزارة الثقافة لبركس حياته للأدب.

من أهم رواياته :

- رائحة الكلب- حمائم الشقق- عواصف جزيرة الطيور- بحر بلانوارس.

- زهور الأزمنة المتوحشة وقرة العين

- ترجمة بعض أعماله إلى الفرنسية، الإيطالية، الصينية، الألمانية وحتى إلى الروسية.

- كما له أعمال للأطفال منها :

- مرارة الدهان سنة (1984م)

- الديك المغرور سنة (1984 م)

- يعتبر خلاص أول كاتب حائز على جائزة – نادي الحضارة-

[1] ينظر : د/ نقلة حسن أحمد العزي- مرجع سابق ذكره ص 14

إهـــــداء

إلى التي غمرتني بعطاء محبتها وحنانها المتدفق.....

ودعائها الذي لم يفارقني طوال حياتي .....

نبع الحنان " أمي " الغالية

إلى السند الذي دعمني حتى آخر مشواري الدراسي ولا زالت ارتكز عليه إلى أغلى إنسان وقف معي بكل قوة وأمل السيد: " مطاوي ميسوم"

وإلى كل من دعمني بهذا الإنجاز

.....

شكر وتقديـــر

أقدم جزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة التي دعمتني بكيفية الإنجاز والإطلاع على طريقة تقديم مذكرة التخرج

إلى الدكتور حنيفي بناصر الذي كان مشرفا على مذكرتي

أخيرا أقدم هذا الشكر العظيم إلى أستاذتي السيدة طويل أمينة لأنها السبب الذي دفعني إلى إتمام مشواري الدراسي

- الجانب النظري :

نتحدث هنا عن التقنية والسرد، ومن أجل تسهيل هذه الدراسة نرى أن كلمة تقنية تعني تحديدا علميا واضحا... هو العلم الذي يتبع منهجا في دراسة ظاهرة لغوية ما، كما في جملة " تقنيات السرد" ... إذا فتقنية تعني المنهج الذي اتخذناه هنا لنحدد " السرديات" فهي إذا تعني طريقة النظر للأمور موضع الدرس.

أما " السرد" أو " السرديات" فهي في اعتقادنا مترادفات لفظية لمعنى واحد هو الحكي أو الروي.. وهي مصادر لأفعال " حكي، روى، سرد" تعد صيغا لفظية توصف وقوع أحداث وأفعال قام بها لأشخاص، وهناك من يرى أن السيرة الذاتية والتاريخ العام يمكن أن يدخلا في مجال السرديات ....[1]

أ/ الضمائر السردية :

الضمائر هي الأصوات التي تأخذ على عاتقها الكشف عن مجريات الأحداث والوقائع التي تدور على مسرح الرواية فهناك الضمير " هو" يستخدم من قبل السارد كوسيلة أو أداة تكشف الأحداث أو تلقي عليها ضوءا، وهو أكثر الضمائر استخداما في السرد الروائي...، وهناك الضمير "أنا" والذي يتدعم مع صوت السارد وهو أكثر الضمائر قدرة على الكشف عن مكونات الذات وأقلها قدرة على مراقبة الأحداث المحيطة في زمان ومكان واحد، كما يفعل هذا الضمير " هو" والضمير الغائب لا يستطيع النفاذ إلى دواخل الشخصيات، وهذا ما أنتقده – جان بول سارتر- عند فرانسوا موريال حينما يتخذل الراوي في الضمائر وعقول شخصيته....[2]

أرى بأن للضمير دور كبير في صناعة الشخصية الروائية إذا أنها بنية فكرية ووجدانية وعاطفية تمتلئ بالحياة وتتحرك داخل الفضاء الروائي.

---

[1] [1] عثمان محمد وداعه، تقنيات السرد الرواني- موسوعة التوثيق الشاما، ص04
الرابط : shotut headwww.tawthegonline.com ساعة 17.39 سنة 2018/03/26

ومن الضامئر "أنت"،"نحن" و "هم" كل هذه الضمائر تعبر في استخدامها عن المسافة التي تجعل السرد قريبا جدا من الحدث أو بعيدا عنه، ولكن الضمير أنت يمتان بأنه يوحد ما بين السارد والملتقي وأحيانا يمثل صوتا جامعا لصوت السارد وشخصيته، ويقول الروائي الفرنسي ميشيل ليتور: " ما يلفت الانتباه في استخدام الضمير " أنت" هو دعوة القارئ إلى المشاركة بنشاط في حركة السرد....

فهذا الضمير يؤدي جميع الأدوار إنه دعوة دور سحري ولكن ليس قطيعا، غالبا ما يتلاشى هذا السحر.

ب- التخطيط الروائي:

كل عمل روائي " سردي" يجعل كقص داخل مخطط... حيث يوزع النص إلى فصول " البداية- الوسط- النهاية" ولكل فصل محتواياته التي يضعها الراوي وفق ترتيب يرتبط بمنطق الرواية فهناك المخطط الطولي والمخطط الدائري مثلا فالمخطط الدائري يبدأ فيه السرد من نقطتين زمانية ومكانية محددتين، تم يتصاعد السرد حتى يصل إلى نهايته تماما كمسار خط الدائرة حيث تبدأ الرواية بالنهاية وتنتهي بالبداية كما في ثلاثية " نجيب محفوظ"، والمخطط الأول هذا قد يضعه الكاتب كتخطيط هندسي لبناء روايته ويتقيد بتعقيده وهناك من لا يتقيد بتخطيط صارم كمثل هذا بل يجعل البداية التي تعمل بطريقتها الكيميائية الخاصة لتعطي في النهاية نتيجة العامة لكل التفاعلات الممكنة كأنما النص كان موضوعا ما بين الحتمية والاحتمالية، وهناك من يستعيد الغالب في النص الموسيقي الذي يوزع روايته إلى أصوات موسيقية تتداخل كما سبق....[1]

في هذا العصر يجب على الكاتب في روايته الاعتماد على مخطط روائي من أجل ضبط روايته، فهناك من تكون نهايتها هي البداية، وهناك الرواية العادية بدايتها الأولى حتى تصل إلى نتائج نهائية.

[1] عثمان محمد وداعه- مقال نفسه ص 05

ج- البناء العني للشخصية الروائية:

ربما يتصور البعض بشكل خاطئ أن المؤلف ينقل لنا شخصيات من الواقع كما تنقل الكاميرا الصورة، إلا أنّ الشخصية الروائية هي تفاعل حقائق كثيرة، هي أولا تلك الفكرة العامة عن الناس كنماذج تحددها خبرة الكاتب " المؤلف" الوجودية وهم أيضا ثقافة المؤلف وكل تلك الرؤى التي يكونها عن الحياة.

* أضف إلى ذلك أنها داخل هذا الأفق هي جزء من شخصيته هو ذاته وهذا ما قصد إليه " باكتين" في كتابه " شعرية دوستويفسكي"

إن تركيب البنية للشخصية الروائية هو ناتج لخلق إبداع بخلط بين الواقع والخيال وهناك كتاب رواتيون تطرفوا جدّا في تأكيد الجانب التحريري في رسمهم لأبطالهم بوصفهم أفكار اكتسبت بالدم واللحم من خلال السرد الروائي....[1]

تعد الشخصية في الرواية التقليدية في أساس هذه الرواية، يقول الدكتور عبد المالك مرتاض:" لا يمكن نضور هذه الرواية من دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها إذا لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينها داخل العمل السردي....[2]

لكن الروائي الجديد يقلل من دور الشخصية كما فعل –كافكا- في روايته " المحاكمة" بإعطاء الشخصية رقما يعبر عنها...

* أرى بأن الفرق هنا في بناء الرواية التقليدية والسردية الجديدة هي فروق حضارية أساسا وهي التي أوجدت هذا الاختراق الخاص بتقنية بناء الشخصية.

---

[1] [1] ينظر : عثمان محمد وداعه، مقال نفسه ص 06

د/ اللغة كعنصر سردي :

النص السردي هو نص لغوي في الأساس، فنحن نرى الحياة عبر المسرود الذي تبدعه اللغة ولهذا يأتي الوصف لتأكيد عنصري الزمان والمكان، كما ترسم اللغة الملامح الداخلية للشخصية...[1] واللغة هنا تشتغل داخل النص بوصفها كائن حيّا شديد المرونة والقدرة على التكييف عبر مسارها الدرامي الحكائي، ولكن استخدامات اللغة هنا تعتمد على الطريقة التي ينظر فيها الكاتب للحياة، فإن كان الكاتب يريد تصوير الحياة" الواقع" كما هو عبر نقل الوقائع كما هي من دون أن تستطيع اللغة القيام بالكشف عن أسرار هذه الحياة، وهذا ما تفعله الرواية الواقعية كما عرفت وحددت نقديا بمصطلح " الواقعية" وقد حددها النقد برواية القرن التاسع عشر ميلادي ونموذجها الناصع هنا هو رواية " نورية دوبالزاك" المولعة بالوصف الخارجي لعالمها الرواتي...[2]

* أضيف أنّ اللغة هنا هي لغة ذات غاية خارج ذاتها، وغايتها توصيل وحمل المعنى

و/ الزمان والمكان السرديان:

القص هو سرد أفعال، والأفعال تحدث بفعل فاعل " الشخصيات" فالفعل لا يتم إلى عبر الزمان والمكان وهذا فإن السرد يعتمد على هذين الركنين اعتمادا أساسيا وحتميا .

1/ المكان : يقول النافذ أحمد زياد:" بداية لابد من الاتفاق على أن المكان في الرواية أيا كان شكله، ليس هو المكان كما هو في الواقع الخارجي ولو أشارت إليه الرواية وعنيقة.

أو سمتهم بالإسم .... يظل المكان عنصرا فنيا من عناصر الرواية فالمكان هو المكان اللفظي " المتخيل" أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض التخيل الروائي

[1] [1]ينظر: عثمان محمد وداعه- مقال سابق ص 07.

فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة...[1]

أما سيرز القاسم فتقول: " إن المكان في الرواية قائم في خيال المتلقي وليس في العالم الخارجي وهو مكان تستثيره اللغة من خلال قدرتها على الإيحاء وذلك كان لا بد من التميز بين المكان الخارجي والمكان في العالم الروائي...."

لهذا فإن مدينة لندن في رواية " موسم الهجرة" للطبيب صالح ليست هي لندن وإن باريس مارغريت دوراس هي ليست باريس إيليا أهونبورغ. والقاهرة عند نجيب محفوظ ليست قاهرة " عمارة يعقوبيان" عند علاء الدين الأسواني رغم أن علاء الدين الأسواني استعار الكثير من قاهرة محفوظ .

2- الزمان الروائي: هنا نجد عدة أزمنة ذات طابع مختلف فهناك زمن الكتابة.... أي الزمن الذي تدور فيه الأحداث المتخيلة، وهناك زمن القراءة وهناك الزمن الداخلي للنص... وهناك الزمن الذي تستغرقه الأحداث.

فزمن الأحداث قد يكون زمن استطراديا.. الآن وأمس وغدا، وهناك الزمن المتقطع الذي يتقدم تم يتراجع وزمن استرباعي، وهناك زمن تيار الشعور حينما تشتغل الذاكرة من دون انتظام استطرادي كما في رواية " ثلاثيات الولايات المتحدة" لدوس باسوس، وهو زمان ميتولوجي ذاتي يقول الدكتور عبد المالك مرتاض:" إن الحدث من حيث هو يجب أن يتسم بالزمانية، والزمن يجب أن يتصف بالخارجية، فالزمن والتاريخ هماشي واحد ولكن ليس بمعنى أن يصبح الروائي مؤرخا من دون أن يسعى لمعالجة المشكلات الاجتماعية والجمالية[2]

[1] ينظر : عثمان محمد وداعه- مقال ص 08
[2] ينظر: نفس المرجع السابق ص 09.

* هنا نرى بأن الزمن الروائي هو الحدث الذي تدور فيه الأحداث من الماضي والحاضر والمستقبل وتكون علاقة متبادلة بين الزمن والتاريخ الروائي.

دراسة فنية الرواية

1- مضمون الرواية :

لما كانت الرواية وعلى غرار باقي الأجناس الأدبية شكلا من أشكال الوعي الإنساني ووعاء نصب فيه أفكار ورغبات وأحاسيس الإنسان في صراعه مع واقعه ومحيطه، كان لا بدّ{ أن تهتم الدراسات النقدية والتحليلية بجانب المضمون في تحديد مفهومها سواء كان ذلك من خلال توضيح طبيعة المضمون ونوعيته المتسمة بالشمولية أو من حيث هو تعبير عن مواقف ذات أبعاد مختلفة نفسية واجتماعية.[1]

من خلال هذه الفقرة اتضح لي أن المضمون له دور جدّ مهم في الرواية، إنّها تعتمد على ما هو متعلق بواقع الإنسان ومحيطه والتعبير عن موقف الذات.

تكاد تكون الرواية في الجزائر قد ارتهنت إلى الشهادة على ما عصف بالبلاد خلال العقدين الماضيين، غير أن صدى ما للعقود السابقة المتعلقة بالثورة التحريرية وبدولة الاستقلال ظل يرتجع وبدرجة أدنى كما في روايتة " عواصف جزيرة الطيور" لجيلالي خلاص وبقدر ما بدا هذا الرجع يخاطب الراهن بقدر أدب على تنزيل الثورة التحريرية من عليائها وكذلك الدولة البومدييينية والثورة الزراعية والتجربة الاشتراكية وماتلاها من دولة الاستقلال ، حتى اندلعت الجحيم من الجيل الثاني لهؤلاء الرواد، يدفع أخيرا " جيلالي خلاص" برواية " قرة العين"

يستعيد الأمس الجزائري التحريري والاستقلالي فكأنما يغرد خارج السرد وبخاصة أن هذه الاستعادة تبلغ بنقد الأمس البوميديني أقصاه ليغدو شطبا عليه كما سنرى [2]

تحدثت هذه الفقرة عن التراجع الذي شهدته الرواية الجزائرية في القرنين الماضيين المتعلقة بالثورة التحريرية والاستقلال والثورة الزراعية، حتى اندلعت هؤلاء الرواد

---

[1] ينظر: جيلالي خلاّص- قرة العين- مصدر تم ذكره ص 04

[2] ينظر: صلاح فضل- السرد والأسلوب- ديوان العرب www.diwanalarab.com18 sp psarticl ساعة 20:30 سنة 2001

باستعاد الأمس الجزائري التحريري وعلى رأسهم جيلالي خلاص في روايته " قرة العين" .

ومن أجل ذلك عادت "قرة العين" إلى الفضاء الأثير لكاتبها: الريف متمثلا بقرية تكوسة وأرض بوزاهر التي تحمل الرواية لقبها قرة العين وقد لفحت الرومنطقية ريف الرواية وإلى حد يذكر بمنفلوطية الطبيعة.

حيث تتوافر المشاهد بجانب والصراصير وقطعان البقر والحلازين والأشجار والكاليتوس و...، وابتداءا من عودة " علي لكحل" من الجيل بعد انتصار الثورة إلى قريته على الصراط المتثعبن بين الأعشاب ذات الإخضرار الفاجر.[1]

غير أن المنفلوطية الرومنطقية لا تحجب بها مشاهد أخرى، ربما يكفي للتمثيل عليها بمارأ علي لكحل في عهد الثورة على حد تعبير نبيل سليمان حيث أرسل إلى باريس في مهمة " خنازير البحر بظهورها القضية وخطاطيمها الحادة وعيونها الصبيانية الجاحظة تثبت متحدية بعضها وسط زبد الأمواج الأبيض[2]

* في هذه الفقرات الثلاثة استحضر الكاتب الجانب المنفلوطي الرومنطيقي كما جعل حضور للطبيعة بقوة واضحة في رواتبه.

- وهب علي لكحل الثورة سبع سنوات رأى فيها نفسه بعدها، سبخة قطن مندوف معلقة خيطا في ثقل الكون، وقد رفض ما كان والده قد طلب له وظيفته جراء النضال[3].

إذ رأى ذلك متابعة لما رآه دوما أمامه: القوانين والاستجداءات والتهديدات والالتماسات أي" " الخضوع دائما.... الركوع أبدا.... الطاعة دوما...."

هكذا وهب الوالد العجوز الجليل- الحاج أحمد- الذي صار كتمثال مجيد من العهود الغابرة "أرض لوزاهر" المدعو " قرة العين" لإبنه الذي سيحييها من الموت.[1]

---

[1] [1] ينظر- صلاح فضل، الرد والأسلوب، منتدى نفسه ص 12

[3] جيلالي خلاص- قرة العين- مرجع سابق ص 09

رأيت في هذه الفقرات بأن الرواية هي رواية الإحياء الذي يستدعى الماضي البعيد. أي استرجاع الطفولة أو القريب هو الثورة.

ومن تفاصيل احياء الأرض تنهض شخصيا الرواية يتصدرها الوالد مثل علي لكحل نفسه ويصور قضائها الأخت بختة التي يعرف شقيقها وقع خطةاتها الشبيهة نجيب الحجلة في براري نكوسة كما يمتلئ هذا الفضاء بأصدقاء علي لكحل في مدينة الضاية وبالبدو والفلاحين الذين يملؤون أرض يوراهن ومنهم بخاصة "خيرة" التي سيتزوجها علي لكحل بينما تستعيد الأرض شبابها على ايقاع التغيرات والتطورات والانقلابات في الوطن كسبت سنوات الثورة عليا من الخبرة ما أكسبته وهو يتطوح من الجبال الى أروبا ومع ذلك يبدوا في مواطن شتى مفكرا كبيرا ويحدس بأن البلاد ستشهد أحداثا رهيبة " سيعرف البلد يا أبي أحداث رهيبة.... أجل يا أبي هذه المرة سيثور الشعب في كل بقعة وقرية ومدينة في الجزائر لأن نظام الحكم الذي بعد وقف إطلاق النار نظام خاطر وجائر [2]

وعلى حد تعبير نبيل سليمان- تجلجل خطابية "علي لكحل" ومن دعوته في منتهى الرواية : " لكن الورثة الحقيقيين لأجدادنا الأفذاذ لنسمع ندائهم لنتحرر من كل العراقيل من كل هذه الأنسجة العنكبوتية التي شوهت ماضينا وتشد مستقبلنا إلى التبعية شدا خطيرا.[3]

سيتحضر الكاتب هنا فضاء الرواية من شخصيات تناوية ملأت ذلك الفضاء من أخته وأصدقائه الفلاحين ومحبوبته خيرة التي ستصبح زوجته كما ذكر الأحداث الرهيبة التي ستشهدها القرية في تلك الآونة.

مثل هذا التقويل للشخصية الروائية يتكرر مع آخرين كانت يتكرر مع آخرين، كانت تصف بختة ساقي حليمة وهي تغرية بالزواج منها "ساقاها مدملجتان" كما حدثت وقائع

---

[1] عبد الوهاب بو شليحة دراسة خصوصية الغربية الجزائرية- محدداتها- جامعة الأمير عبد القادر.
[2] ينظر: جيلالي خلاص- قرة العين- المرجع السابق ص 13
[3] عبد الوهاب بوشليحة- دراسة خصوصية الرواية العربية الجزائرية- مرجع سابق ص 16.

بها تناقض كوفاة "سعيدة" معشوقة علي لكحل على إثر سماع طلقتين ناريتين وفي صباح اليوم الثالث جاءته بأسوء مما كان ينتظره، قالت له العجوز الطيبة :" حملوا سعيدة وهي في خطورة قسوى إلى مستشفى الضاية..." أبوها وإخواتها في حيرة جبال هذه المأساة التي حلت بهم... لقد أصابت سعيدة ذبحة حادة... بعد الطلقتين [1] على أن الرواية ما تقابل به مثل هذه العلل وذلك بما تنسج من العلاقات الإنسانية الرهيفة كعلاقة علي لكحل بوالده أو علاقته بأخته بختة وبسعيدة وخيرة وبالخيل وأصدقائه، ومنهم " الطيب" الذي ينتشله علي لكحل من القاع ويصلب عوده ويجعل منه عضدّة، لكن الطيب سينقلب على علي لكحل شر منقلب بعد تزلزل الثورة الزراعية زلزالها، وقد بلغت الرواية على حد تعبير نبيل سليمان هذا المفصل الحاسم في الفقرة التي ختمت فصلها الثاني عشر تحت عنوان " الأخبار المشؤومة" وفيها ما أخذ يتردد على تأميم أراضي الملاك الكبار أو عدم ترك قطعة أرض للخواص وبموازرة ذلك أخذ الطيّب يوسوس للفلاحين " لقد صار الطيب يوسوس ليلا نهار في آذان الفلاحين بوزاهر الفقراء... كان علي لكحل يثق في الطيب ثقة عمياء..."

هنا استخلص أن العلاقة التي كانت بين أهل بوزاهر التي جمعت علي لكحل بأخته وسعيدة وكذلك خيرة كما علاقته بالفلاحين، وظهر الطيب الذي كان يثق فيه علي لكحل لكنه خذله مما جعله يوسوس للفلاحين من تجل الإنقلاب بين أهل " أرض بوزاهر" وراح القلق على أرض بوازاهر يحتاج علي لكحل في نهاية الفصل الثاني تأتي فقرة التحرش وفيها أمر رئيس الجمهورية بقوله الأرض لمن يخدمها وهو ما دفع بالفلاحين للثورة على علي لكحل فصرفهم بإحسان وتولى وأسرته العمل في الأرض لكن صديقه للطيب الذي صار رئيس اللجنة الزراعية أصدر القرار بتأميم " قرة العين" وأمهل صاحبها الشهر فإذا بعلي لكحل في نهاية المهلة يقتل الطيب تم يصبح كأخيل المنتصر فترخي الرواية على حد تعبير نبيل سليمان الستارة التواجدية على الطبيعة حيث اهتزت الأشجار ويبست وتشققت جدران الصيغة غارت مياه آباربو زاهر ماتت البلابل

[1] ينظر: جيلالي خلاص- قرة العين- مرجع سابق ص15

والشحارير، داخت الحجال والبط والدجاج بينما انحدرت من الجبل المجاور لبوزاهر جلاميد صخر قضت مضجع إمرئ القيس نفسه وهو يكر ويعز بحصانة العربي المطهم الأصيل[1] لكن النهاية التواجدية لا تكمل إلا بانتحار علي لكحل فتح فمه وأولج مأسورة المات فيه دفعها حتى لمست مدخل حنجرته ضغط الزناد" طخ.." "طخ...." تمدد جسده مرتعدا...[2]

استخلصت رواية جيلالي خلاص قرة العين فقد تجاورت نقد السلف الروائي الصالح (عبد الحميد بن هدروقة، الطاهر وطار، رشيد بوجدرة) للأمس الذي شابه البقرة إذا وقعت فتكاثرت سكاكينها.

2- البطل الروائي الإشكالي في " قرة العين" :

من خلال تصفح الرواية اتضح أن جيلالي خلاص إلتجأ إلى وظيفة الانتحار ليضع حدا نهائيا لبطل روايته " علي لكحل" الذي احتل حيزا شاسعا من الرواية، فعلي لكحل على إثر إصدار قرار تأميم أرض " بوزاهر" إلتجأ إلى قتل الطيب تم انتحر هو، هذه الرواية شبيهة برواية " حنامينة" الذي التجأ هو الآخر إلى وظيفة الانتحار ليضع حدا نهائيا لبطل رواية " نهاية رجل شجاع" و " مفيد الوحش" يصاب على أثر خروجه من السجن بمرض عضال فيلتجئ إلى فتح دكان يبيع فيه البضائع المهربة، وهذا ما حدده سابقا " جورج لوكاتش" في كتابه الشهير " نظرية الرواية" فهو يرى البطل الإشكالي في رحلة البحث عن القيم الأصلية في مجتمع متدهور هو الجنون أو الانتحار.[3]

قدمت الرواية البطل الإشكالي الذي يعكس ويلخص معاناة وقلق مرحلة الثورة وما بعدها كما نجسد نقد الأمس الجزائري، والتجربة الاشتراكية والثورة الزراعية فعلي لكحل يجسد غربته داخل الوطن لا يشعر بوجوده فوق الأرض حينما عاد من الجبل بعد الثورة ... من اللاشعور بعث فيه دم جديد وخامرته فكرة وجود فوق الأرض ....حيّا، والحياة لم

[1] عثمان محمد وداعه- تقنيات السرد الروائي- منتدى القصة والرواية ص 03
[2] ينظر، جيالي خلاص- قرة العين- مرجع سابق ص 23
[3] عثمان محمد وداعه- تقنيات السرد الروائي ص 07

تعن يوما بالنسبة لعلي لكحل إلا امتحانات شاقة متوالية.... كان يرى نفسه ميتا عجيبا بعث إلى الوجود ضربا من المزارق اللامادية

اتضح من خلال مطالعة لرواية جيلالي خلاص قرة العين بدالي البطل الروائي علي لكحل في مقاطع كثيرة من الرواية عرّافا ويتنبأ بحدوث أشياء مستقبلية وذلك من خلال أحلامه وتنبؤاته فقد تنبأ بعودته إلى قريته..."

كما ورد في النص الروائي... أنت تعرف ياسيدي أنني كنت متيقنة من عودتك كما حلمتها في أحلامك التنبئية ألا تذكر رسالتك؟ تلك التي بعثتها بعد سفرك بأيام قليلة والتي قصصت فيها حلمك؟ وحدس وتنبأ بأن البلاد ستشهد أحداثا رهيبة... وأكثر من ذلك كله بدأ أنّه يعرف نهاية صديقه الطيب هذه الشخصية التي رافقته في مشروعه لأجل إصلاح أرض بوزاهر " قرة العين"

لكن الطيب ساند علي لكحل اتقلب ضده في الأخير فكانت نهايته قتله علي لكحل ألا يعدلك خرقا لأفق توقع القارئ.

3- صورة السارد وأشكال السرد في الرواية:

من خلال تحليل هذه الرواية تم التوصل إلى أننا إزاء ثلاثة ضمائر تستعمل لسرد الوقائع: ضمير الغائب (هو) ضمير المتكلم (أنا) ضمير المخاطب (أنت) لكن استعمال ضمير الغائب احتل حيزا شاسعا من الرواية " قرة العين" ويبدو أنه يحيل على السارد هذا الكائن الذي يقف وسيطا بين القارئ والشخصية والعالم الروائي هذا الضمير أن يكون سيد الضمائر السردية الثلاثية وأكثرها تداولا بين السراد وأيسرها استقبالا لدى

المتلقين وأدناها إلى فهم لدى القراء.....[1] والأمثلة كثيرة في استعمال هذا الضمير سار بضعته أمتار تحت المطر.... كان يشعر بقطرات تخترق عمامته فتبلل شعره الأسود الكثيف وتتسرب برودتها المقيمتة عبر سترته وقميصه وسرواله، فتثير قشعريرة خفيف في كامل جسدة....[2]

من خلال استعمال هذا الضمير الغائب (هو) حسب رأي كان تمريرا لفكرته وايديولوجيته ناقم على الوضع السياسي والتناقضات الموجودة داخل الوطن يصبو لتحقيق مشروعه ويسعى للتغيير واستعمال ضمير الغائب كوسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها السارد فيمرر ما يشاء من تعليمات وتوجيهات وآراء دون أن يبدو تدخله تدخل صارخا ولا مباشر حيث هنا السارد يتغدى أجنبيا عن العمل السردي وكأنه مجرج راو له

ويبدو خلاص هنا يعرف يعرّف عن شخصياته علي لكحل الحاج أحمد- بختة- الطيب – العجوز... وأحداث عمله السردي فهو هنا يزدجي الأحداث وشخصياتها نحو الأمام حيث كان وضعه السردي قائما على اتخاذ موقع خلف الأحداث التي يسردها

كما ينصح استعمال ضمير المتكلم الذي بحيل عامة على الشخصية الرئيسية علي لكحل عندما يتحول إلى سارد يروي بعض المقاطع السردية أو يدخل في حوار مع أبيه " الحاج أحمد" أو أصدقائه الفلاحين أو أخته بختة ... قال علي لكحل لأبيه: " لا أدري إن كان حلمي يشبه حلمك يا أبي ولكن ستحكم بنفسك رأيت نفسي ببيت جدي القديم ذي البياض الحلبي.. سلكت الطريق المؤدية إلى الينبوع رأيت رجلا في هيئة مسكين متسول.....[3]

---

[1] عثمان محمد وداعه- تقنيات السرد الروائي- مرجع سابق ص 08
[2] جججديد الروائي جيلالي خلاص- قرة العين- جريدة الاتحاد www.olhid.aes.mobil.détails-2007
[3] جيلالي خلاص قرة العين- مرجع سابق ص 45

والضمير المتكلم القدرة المدهشة على إذابة الفروق الزمنية والسردية بين السارد والشخصية والزمن جميعا، إذا كثيرا ما يستحيل السارد نفسه في هذه الحال إلى شخصية كثيرا ما تكون مركزية ولعل ذلك لجماليات الضمير.[1]

* أرى هنا بأن الضمير المتكلم (أنا) يجعل الحكاية المسرودة أو الأحدوثة المدولية مندمجة في روح المؤلف فيدوب ذلك الحاجز الزمني الذي كنا ألقيناه بين السرد وزمن السارد كما جعل هذا الضمير المتلقي يلتصق بالعمل السردي ويتعلق به أكثر كأنه يميل إلى الذات .

أما عن استعمال الضمير المخاطب في الرواية إنّه يحيل إلى شخصية ثانوية بعد الشخصية المركزية فعلي لكحل برفقة والد الحاج أحمد. قال الحاج أحمد: " أي بني بفضلك أحسست بعودة الشباب إلى عروقي في هذه الصبيحة الرائقة... أي بني حين يكون الإنسان شابا بحكمه اعتقاد خاطئ كونه يظن أن الحياة طويلة....، أي بني أنصحك تتزوج في أقرب الآجال هكذا يمكنك تربية أبنائك بنفسك.... وهذا الضمير يطلق عليه الفرنسيون ضمير الشخص الثاني على غرار ما جاء به في مصطلحاتهم.

ضمير المخاطب هنا في هذه الفقرتين أتى استعماله وسيطا بين الغائب والمتكلم أي لا يميل إلى الخارج قطعا، ولا يميل إلى الداخل حتما، ولكته يقع بين بين.

04- لغة الرواية :

تؤكد اللغة في قرة العين أقرب إلى لغة الشعر منها إلى لغة الرواية إذ ترتقي إلى درجة عالية من الشاعرية حتى لكأن إزاء ذات الشاعر تستقطب العالم عبر الصور والمجاز، وتتميز اللغة بقدرة بلاغية واضحة عبر تكثيف أساليب المجاز مما يكسب النص الروائي شعرية عمقة، والمقاطع في الرواية كثيرة : " شعرت الشمس الحمراء تتبوء السهل

[1] أحمد المدني- الكتابة السردية في الأدب المغربي الحديث- المعارف الحديث- المعارف الجديدة – الرباط- سنة 2000 م

الرملي" راحت القفزات الضوئية تعلق بأطرف تلك البكرة ذلك الشعاع الخجول وتصبغها مثل قوس قزح بآلاف ألوانها البلورية، وقد أضفى عليها الندى المنثور مند الصبيحة مظهره الألماسي الأميري، فبدت في تبرجها ككوكب يؤوب من إحدى رقصاته الجنوبية المضاءة بآلاف الأنوار المختلفة، وإن كان اللون الفضي سيدها بلا منازع...[1]

* هناك الكاتب يستحضر الصور والمجاز هناك صورة شعرية للغة الرواية وهذا ما جعل الرواية ترتقي أعلى الدرجات من الشاعرية.

كما أن الرواية في لغتها تميل إلى بعض الصور الشعرية الموحية... " لم تعد أرض بوزاهر السكري بالماء العذب الزلال، تبدي وجها متنفطنا وأنق أحمر ملفوحا بهجير الشموس الذي غلبه الري المتدفق... إن أرض بوزاهر لتضحك اليوم ملئ شديقها وجهها اليوم مرحب أخضر جميل إنه يتحدى الشمس الحقود....[2]

05- دراسة الزمكان (الزمان والمكان) في الرواية :

يروي جيلالي خلاص في قرة العين قصة علي لكحل العائد إلى تكوسة قريته الجبلية ليلقي مأساته بعد سبع سنوات قضاها مجاهدا في الجبال يعود إلى أهله متوجا بالنصر وبثورة عظيمة مرددا:" شاهدت وعشت وقرأت وحفظت الشيء الكثير... أحس أنني أهل لمواجهة صعوبة الحياة هنا في قريتنا" عاد علي لكحل إلى تكوسة بينما هي تمطر أي في زمان الرواية في فصل الشتاء عاد إنسانا جديدا محملا بالحكمة والرغبة في بناء نفسه، معتمدا على أرض بوزاهر الذي منحها له والده الحاج أحمد....[3]

دمج الزمان والمكان في هذه الفقرة حيث ذكر القرية تكوسة والفترة الزمنية التي غابها عن قريته أي دمج كلا العنصرين معا.

---

[1] عثمان محمد وداعه- تقنيات السرد الروائي- مرجع سابق ص 19

[2] عبد الوهاب بوشليحة- دراسة خصوصية الرواية العربية الجزائرية- مرجع سابق ص 22

[3] عثمان محمد وداعه- تقنيات السرد الروائي: مرجع سابق ص 23

يقضي علي لكحل حياته وسط الطبيعة سعيدا ومحترما، يفلح أرضه فيتزوج وساعده الفلاحون وتنبث الأرض خيرات وفيرة تدور أحداث الرواية وسط الطبيعة حيث تمكن الجيلالي خلاص من نقل تفاصيلها بدقة وقدرة على الوصف للمكان....

أرى بأن الكاتب في رواية قرة العين أعطى للطبيعة حضورا قويا مما جعل القارئ يتذكر بشكل براعته " برائحة الكلب" كما دمج بين الزمان والمكان دون أن نشعر.

الخاتمـــة

من خلال قرة العين استطاع جيلالي خلاص أن يقدم رؤيته حيث استعاد الأمس الجزائري التحريري الاستقلالي قدم نقد الأمس البومديني والثورة الزراعية والتجربة الاشتراكية مجسد التناقضات الحاصلة في الوطن- الجزائر- التي أفضت إلى الانتحار- مصورا ذلك في تأزم علائق الشعب بالسلطة لذلك تعتبر روايته ذات بطل إشكالي " علي لكحل وحلمه – البطل- وسعيه من أجل تحقيق برنامجه ومشروعه لإصلاح أرض بوزاهر " قرة العين" اتضح فشله الذي انتهى بانتحاره كما تقدم رؤية إنسانية وتطلع الكاتب لإثبات الذات والوقوف ضد القمع السلطوي السياسي، ارتقت لغته إلى درجة عالية من الشاعرية، وقدرة بلاغية واضحة من خلال تكثيف أساليب المجاز أبرز جيلالي خلاص في روايته موقفه الإيديولوجي والفكري والتأزم الموضع في تلك الحقبة لأن العمل الروائي موازاة إبداعية فنية تخيلية للواقع والتاريخ، موازاة فاعلة فاعلة بمعنى أنها لا تقتصر على النقل الواقعي التسجيلي وإنما تنزع إضافة إلى ذلك إلى البحث في حلول مآزق العالم، وهذا ذأب الرواية العظيمة التي تتنوع معالجتها وحلولها وتجعل طموحها الأكبر البحث في تلك الحلول، وينبع عظمة من قدرتها على عرض مجموعة من المآزق الكبرى ومعالجتها توازيعها بمستواها الإشكالي والفني وهذا يعني بأن مشرع الرواية الفكرية والإيديولوجية هو المشرع الأساسي في العملية الإبداعية

ويمكننا أن نقول بجرأة ما: إن الرواية العربية في مسيرتها الطويلة بلغت مرحلة جيدة من الاستقرار والاستقلال عن التبعية المطلقة للفن الروائي في الغرب، التبعية التي رافقتها منذ نشأتها حتى مرحلة متأخرة نسبيا من تاريخها الذي قارب قرنا ونصف قرن... ويقوم الاستقلال يمنح الفن الروائي العربي خصوصية عربية ذات آفاق نفسية روحية حضارية وفكرية وإيديولوجية وفنية وقومية مميزة.

وضف خلاص السرد في روايته حيث استعمل الشكل كإحضار ضمير الغائب والمتكلم واستعمل فن اللغة في روايته اعتمد على تقنيات السرد في الرواية العربية.

قائمة المصادر والمراجع :

1- د. نفلة أحسن أحمد العزي- تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني- دار غيداء للنشر والتوزيع عمان- الطبعة الأولى- سنة 2011م.

2- جيلالي خلاص – رواية قرة العين- دار القصبة للنشر الجزائر – سنة 2007.

3- جديد الروائي جيلالي خلاص- قرة العين جريدة الاتحاد

www.olittihad.ae » mobile »détails20octobre2007.17.20

4- عثمان محمد وداعه- تقنيات السرد الروائي- منتدى التوثيق الشامل

online.com »shwlhread.26mars2013-20 :30 www.tawtheeg

5- أحمد المدني الكتابة السردية في الأدب المغربي الحديث .المعارف الجديدة الرباط سنة 2000 م

6- عبد الوهاب بوشليحة دراسة خصوصية الرواية العربية الجزائرية محدداتها- جامعة الأمير عبد القادر كلية الأدب والعلوم الانسانية – قسم اللغة العربية.

ملخص الرواية

في عودة جديدة للروائي الجزائري جيلالي خلاص تطرق إلى موضوع مسكوت عنه فلما تناوله الأدب العربي الجزائري، بعيدا عن تأثيره الإيديولوجي متمثلا في موضوع الثورة الزراعية، حيث جاءت روايته الجديدة " قرة العين" الصادرة مؤخرا عن منشورات القصة في إيطار الجزائر العاصمة للثقافة العربية قوية مكتوبة بلغة روائية متينة توحي بأن صاحب " حماتم الشفق" لم ينته روائيا بل وجد طريقا سرديا جديدا وعالما روائيا أوسع يخلق من خلاله شخوص مغايرة وفضاء أوسع لعالم روائي أكثر كثافة وتميزا

يروي خلاص في قرة العين قصة علي لكحل العائد إلى تكوسة قرية الجبلية ليلقي مأساته بعد سبع سنوات قضاها مجاهدا في الجبال يعود أهله متوجا بالنص وبثورة عظيمة فيرد " شاهدت وعشت وقرأت وحفظت الشيء الكثير...."

أحس أنني أهل لمواجهة صعوبات الحياة هنا في تربيتنا على علي لكحل إلى قرية تكوسة المعروفة " بأرض بوزاهر" قرة العين بينما كانت تمطر عاد إنسانا جديدا محملا بالحكمة والرغبة في بناء نفسه معتمدا على الأرض التي منحها له والده.

يقضي علي لكحل حياته وسط الطبيعة سعيدا ومحترما يفلح أرضه فيتزوج ويساعده الفلاحين وتنبث الأرض خيرات وفيرة

في نهاية الرواية يلجأ البطل علي لكحل الانتحار وراء ذلك هو الطيب صديقة الذي يؤمنه على كل شيء ولكن غدر به وخانه.